

على وقع الطبول...

في شعائرهم الدينية، بل نجد نقوش أكاكوس ترسم وبدقة استعمال رقصات قديمة بما يسمى اليوم تاضاندا (الكسكة) في رقصاتهم الفردية والجماعية وهذه الرقصات ذاتها تتكرر في النقوش المصرية بأكثر دقة ويتحدث عنها اليونانيون بإسهاب، ولكن لليونانيين الفضل في تخليد اسم العازف الأمازيغي «سيرتس» الذي اشتهر بأنه أول عازف على الناي.

أستخدم الأمازيغ الموسيقى أيضا في صراهم من أجل إثبات وجودهم، والحفاظ على ذاتهم سواء كانت حرب دفاع عن الأرض والعرض حيث يقول ابن خلدون: «أن الجيوش الأمازيغية يتقدمها شعراء يوقدون فيهم الحماسة، وتقرع الطبول من أجل أن يلهبوا فيهم الشجاعة والإقدام في الصفوف الأمامية»، وهذا ليس ببعيد عن ما أورده سالوست في حرب يوغرطا: (حيث كانت تقرع الطبول وتنفخ الأجواق لكي يؤذن بالحرب وفي نفس الوقت يث الرعب في نفوس الأعداء).

إن الموسيقى والغناء ضروريين للتواجد الإنساني وللتمايز الثقافي، إن ما يميز الإنسان الأمازيغي اليوم عن ما سواه من شعوب الأرض هو الموروث الغير المادي بالذات والذي إن لم يحافظ عليه ويتم تلقيته للأجيال القادمة فمآله بما لا شك فيه للزوال، فالتمايز الثقافي الأمازيغي في خطر حتى ولو وجدت اللغة نفسها، يجب أن يعي الأمازيغ أن ثقافتهم في خطر دائم أمام العولمة التي لم تعد تقي ولا تدر، وبالأمس القريب سمي نوع من الموسيقى الأمازيغية بالموسيقى الأندلسية كما يقول محمود قطاط فأصبحت حقيقة مطلقة مع أن مصدرها الأول هو شمال إفريقيا، ولم يعد الأمازيغ أنفسهم يعون أن مصدرها الأول أمازيغي فهل هذا هو مصير باقي الأنواع الموسيقية؟

عندما يريد الإنسان أن يعبر عن عواطفه الجياشة سواء كانت فرحا مفرطا أو حزنا يُندبُ اخترع لذلك شيئا سماه «أسفرو» شعرا، وعندما أراد أن يذيعه صاحبه بـ «أزاوان» موسيقى، وسماه «تنيغ» غناء، في الواقع لا نعرف شعبا من الشعوب على وجه المعمورة لا يملك نوعا من أنوع الموسيقى ولا نعرف أمة من الأمم لا تتميز بألة موسيقية أو نوع من الغناء، أو إحتفالا موسيقي يميزهم عن ما سواهم ...

قدّم الشعب الأمازيغي وإمتداد رقعته الجغرافية وتنوع بيئته من جبال إلى صحراء وسهول ومن حضر إلى بدو أخرج لنا نسيج متنوعا في عطائه الموسيقي متوحد في نغمته ومتشابك مع محيطه الإفريقي والمتوسطي، إستخدم الإقاع الخماسي في غالب الأحيان، في أغاني في جملها تكافلية جماعية يكون فيها الصوت للمجموعة، كما تنوع غناهم وتنوع آلاتهم الموسيقية من هوائية إلى طبلية ووترية كذلك ومن أمثال هذه أمزاد (الكمان) تيدينيث (الرباب) تيكزوت (الوتر)، أو الآلات الهوائية من أمثال : تابكا (الناي)، تازوكرت (الزكرة)، تاجوكت (الجوقة)، تاديدابت (الطبل)، أگوال (الدربوكة)، أرگوت (الدف)، تالونت (البندير).

مما لا شك فيه أن الأغنية من أعرق الفنون الأدبية في الثقافة الأمازيغية وهي الأكثر انتشارا في المجتمع الأمازيغي، كما هي امتزاج بين اللغة والموسيقى، بل هي لغة مفعمة بالرموز والمعاني، حيث وظفها الإنسان الأمازيغي في أفراحه وأتراحه في جده وهزله في حروبه وشعائره الدينية، حيث وردت إلينا نصوص مصرية قديمة تتحدث عن إستخدام الليبيين للغناء

في طريق الانعتاق

ليبيا كانت دائما في الموعد مع أغنية تافسوت لفرقة «ليبيا 2000»، فصعد بعدهم «علي فطيس» بأغنية إيمازيغن ليقول نحن هنا، ولكنهم قمعوا وسجنوا «عبدالله عشيبي»



ليخرج من السجن بأغنية إيدرفان، لتتبعه «دانيا بن ساسي»، بأغنية أيريدن تيلي، فعد «محمد قلو» ليحيينا بأغنية أزول، ولكن «رمزي الغالي» أبأها إلا أن تكون ثورة من جديد في أغنيته تاگرولا ن فورار، ولكن فرقة «غاسرو» بث فينا الأمل بأغنية تعيطش أجا، فبادر «خالد نوسي» وأرسل لنا تابلرات.

أنواع بتنوع الهيط

المدارس الموسيقية الأمازيغية يعتمد أكثرها على الشفاهية في النقل والتلقين، فكان مصير أغلبها النسيان ومن ثم الموت المحتم، بالرغم من ضياع بعضها وصلنا الكثير منها وأصبح متناثرا من أقاصي شرقها في سيوة تحديدا وورقصات تسيوان إلى جبل نفوسة وموسيقى ورقص أبراج وتاضاندا (الكسكة) تعريجا بغدامس وموسيقى أسكورور وغات ومهرجانات سببيا الذي يعتبر منقرضة عندهم ومتواجد في جانت جارتهم الجزائرية، وعلى ذكر الجزائر البلد يفعم بأنواع الموسيقى الأمازيغية القديمة منها والحديثة كأغاني المرابطين في بلاد القبائل والألحان والمعزوفات الدينية في بلاد ميزاب، وأردس وأدريز في جبال الأوراس الشامخة ولا ننسى أحواش في بلاد سوس مع الراويس، وكذا أحيديوس في الأطلس المتوسط، و ثزران في بلاد الريف، ولا ننسى التغني بالصغير الذي لا يزال يمارس في بلاد الكواشنة جزر الكناري إلى يومنا هذا.

كما تم جمع شتات اللغة الأمازيغية في قواميس محددة يجب أن تقوم مجهودات في تجميع شتات الثقافة الموسيقية والشعرية الأمازيغية، ويتم التعريف بها لأبنائها الذين تشبعوا بالثقافة والموسيقى الوافدة أكثر من تعرفهم على موروثهم الموسيقي والشعري العريق.

ربيع النضال الهوياتي الأمازيغي احتاج إلى رسول يذيع صوته كل أرجاء المعمورة فلبى «إيدير» النداء بـ أبا يانو، فلما إشتد قمع السلطات واحتجنا من يصعد بالحق قال «معتوب لونا»: «الله أكبر في أغنية غاية في الروعة، لما كانت المسيرة من أجل التحرر لبت «جرجرا» النداء وأيقظتنا بأغنياتها كورقيس ومازيغ، لما ضحكت علينا الأنظمة الديكتاتورية كانت أغنية «تكفارينا» حكنماغ أت وسردون، ولما أردنا تغيير هذه الأنظمة الديكتاتورية إحتجنا لأغنية ثورية فكان «فرحات مهني» وأغنيته تاگرولا، ولكن لما كان جزء من الشعب نائما خلال الاعداد للثورة إحتجنا لإقاظ الجزء الآخر فكانت أغنية طس مازال لجال ل «أيت منگلات».



في غرب شمال إفريقيا جاء الربيع متأخر فاحتجنا للمطر فسقيناها بأغنية «وليد ميمون» الرعدية أجاج، ولما أشرقت الشمس خرجت فرقة «إززارن»، أشعة الشمس بأغنياتهم لتروي أكال، ولكن نتائج الربيع الهوياتي خيبت الظنون فغناها «محمد رويشة»، ولكننا إحتجنا للرجوع لأصولنا فقال «عموري مبارك» أقي حنا، ولكننا لمن ولن نتوقف فقال «خالد إزري» ناش د شام، ليصرخ «بن عيسى أقبلي» بـ الله الله.

في صحراء تامزغنا هاتفنا «بالي عثمان» وقال أ ميدي وان، ولكن ظروفنا الاقتصادية الصعبة بسبب التمييز العنصري أخرجت فرقة «تيشومارين» أغنية عاطلون عن العمل، ولكن ظروفهم كانت ولا بد أن تظهر لكل العالم فلحقهم فرقة «تيناريوين»، وان لم يكن هذا كافيًا خرجت فرقة «إينارن» لترجع فينا الروح بأغنية إيمان.



أقدم ناي في العالم وُجد في هوا فطايح قرب بنغازي على هيئة عظم طائر

الإيقاع والطبوع

الطبع: هو مجموعة أصوات موسيقية تشكل هيكلًا موسيقيًا له طبعه الخاص يختلف عن غيره في السماع منه المفرح ومنه المشجع والعاطفي والمحزن وهكذا فإن المقامات تمثل سائر أطوار وطبائع الإنسان، فلذا سميت في البلدان المغاربية بالطبوع، يطلق على هذا الهيكل الموسيقي في بلاد مصر ولبنان وسوريا إسم (نغمة) وفي العراق وليبيا وتركيا (مقام) وفي الجزائر وتونس والمغرب (طبع) وعالميا يسمى بالسلم الموسيقي.

الإيقاع: هو الصوت الذي يسمع عند النقر على أي آلة إيقاعية وفق أزمان محددة وبطرق مختلفة وله صور متعددة.

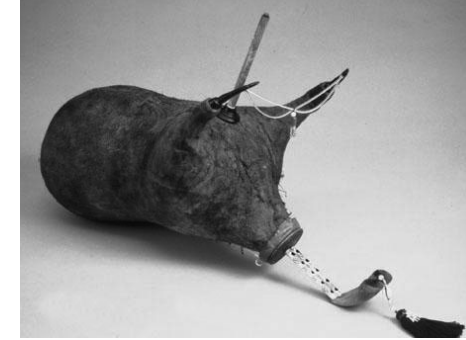
صورة الإيقاع: هي نظام تتعاقب وحداته بكيفية معينة ومتطابقة تبرز فيها مختلف القيم الزمنية.

تدوين الإيقاع: يدون الإيقاع من حيث المبدأ، ب: (الدم والتك) كما يحكم هذا الدم والتك قيم زمنية محددة ومختلفة وهي التي تثرى الإيقاعات وتنوعها.

حركة الإيقاع: هي درجة السرعة أو البطء الذي يلزم أن يعزف بها الإيقاع ومن ثم القطعة الموسيقية.

البعد الموسيقي: تسمى المسافة التي تفصل فيما بين النغمتين الموسيقيتين بالبعد الموسيقي وهو إما أن يكون صاعداً أو هابطاً.

السلم الموسيقي: هو عبارة عن تتابع لسبع نغمات وتكون الثامنة جواب الأولى، أبعاد السلم الموسيقي الكبير هي من اليسار إلى اليمين (2/1 1 1 1 2/1).

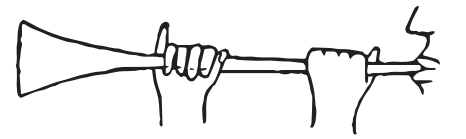


بالرغم من وجود آلات مشابهة لها في أوروبا اليونان وأيرلندا تحديداً، غير أن الزكرة الشمال إفريقية تبقى آلة ذات أصوات متميزة ولها لحنها القائم بذاتها في مناطقه.



تعتبر آلة أمزاد من ضمن أقدم الآلات الموسيقية الأمازيغية بلا منازع وبالرغم من إحتوائها على وتر واحد وقوس غير أنها تصدر أجمل الألحان تعبيراً وأكثرها رقة ونقلًا للأحاسيس والمشاعر. أمازيغ الجنوب (الطوارق) يعتبرونها شبه مقدسة، حيث يتناقلها الفنانون كبارا عن كابر ولا يجوزون بيعها بل توريثها أو إعطائها هو مصير الآلة المستخدمة عبر الأجيال.

أمزاد وتيندي هما الآلات المشتركة بين كل العازفين الموسيقيين الأمازيغ الجنوبيين من مالي حتى الحدود السودانية.



المصريون رسموا مجموعة من الآلات الموسيقية الليبية ومن ضمنها الطبل والناي أو الجوقة فخلدت بذلك أشكال الآلات الموسيقية الأمازيغية الأولى.



كما نقل اليونانيون أن الليبيين هم من اخترع آلة الناي حيث كان يكنى عنه في الشعر اليوناني بالليبي لشهرته، بل أن الكاتب أثيناووس قال أن سرتس وهو أمازيغي ليبي هو أول من عزف على آلة الناي الذي تعلم منه اليونانيون أنفسهم.



تاددابت آلة موسيقية صاحبت الجيوش الأمازيغية في حروب يوغرطا ضد الرومان كما ينقل لنا ذلك سالوست في كتابه حرب يوغرطا، بل في العصر الاسلامي نقل ابن خلدون أن الطبل أستخدم في الحروب إذانا بالحرب أو تحفيزا للجنود.



أقدم آلة موسيقية أكتشفت في العالم وُجدت في هوا فطیح قرب بنغازي وهي عبارة عن ناي مصنوع من عظم طائر، متواجد اليوم في المتحف البريطاني.



جدارية في جبال أكاكوس تخلد رقصة الألواح الأمازيغية القديمة التي تسمى تاصاندا (الكسكة)، وهي عبار عن رقصة جماعية رجالية بدرجة أولى تحاكي الحرب والصراع بالعصي.



كررت هذه الجدارية في أكثر من مناسبة في النقوش والجداريات المصرية ربما لأهميتها الدينية حيث تم اعتبار أن الغناء عند الليبيين ذو أغراض تعبدية، حيث نقلوا أن النساء الليبيات كن يصدرن صيحات غنائية عند دخول المعابد المخصصة للإله أمون..

هذه نماذج عن الآلات الموسيقية المستخدمة عند الأمازيغ في إنتظار احصائيات كاملة وشاملة عنها في كل أرض تامزغا.